

النضال . ولن يكون الحكم في المستقبل الا لتجربة الشاعر النضالية والقومية ، التي لن يكون شاعرا لولاها .

ويلاحظ ان الموقف السياسي الذي يرى في الاحتلال الصهيوني تحديا للامة العربية بأسرها يلتحم مع موقف آخر فني يجعل من الشعر الذي يكتب في ظل الاحتلال انبثاقا من التراث الشعري العربي ، ومواكبة للشعر العربي المعاصر الذي يكتب في بقية اقطار العالم العربي . ولكن معظم الذين تعرضوا لنقد الشعر العربي في فلسطين المحتلة لم يحاولوا ان يربطوه بتيار الشعر المعاصر في الوطن العربي ، بل نظروا اليه من حيث هو ظاهرة قائمة بذاتها . فلم يستطيعوا ان يجدوا له مكانا في سلم الشعر الحديث ، مع ان الشعراء الفلسطينيين اعتبروا ان شعرهم جزء لا يتجزأ من الشعر العربي المعاصر ، وانهم تلامذة للشعراء العرب القدماء والمحدثين ، فقال محمود درويش : « وشعرنا ليس ندا أو بديلا للشعر العربي المعاصر . . انه جزء غير متجزئ منه ورافد من روافد النهر الكبير . لقد تربينا على أيدي الشعراء العرب القدامى والمعاصرين ، وحاولنا اللحاق بأسلوب الشعر الحديث بعد أن تعرفنا على رواد هذا الشعر في العراق ومصر ولبنان وسوريا ، ونحن لا يمكن الا ان نعتبر انفسنا تلامذة لاولئك الشعراء » (١٥) .

كما أكد سميح القاسم موقفا مماثلا في قوله : « أعتقد ان شعرنا جزء لا يتجزأ من الحركة الشعرية العربية ، تأثر بها وتفاعل معها ، والملاحم الخاصة به تقابلها الملاحم الخاصة بالشعر الجزائري أو الملاحم الخاصة بالشعر العراقي مثلا . ومن الطبيعي ان كل عمل شعري يتأثر بالبيئة الضيقة التي يعيش فيها بالإضافة الى تأثره بالبيئة العربية الواسعة وبالعالم وأية مرحلة قادمة ستكون جزءا من الحركة الشعرية العربية في مسيرتها بكافة اتجازاتها ونكساتها أيضا » (١٦) .

ولعل السبب في عدم ربط هذا التيار الشعري بجذوره العربية وتضخيم صورته في الاذهان عائد الى أن من تعرضوا لنقده لم يستطيعوا التحرر من النظرة السياسية أو العاطفية الوطنية عندما اكتشفوا فجأة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، ان هناك حركة شعرية في الارض المحتلة ، لاسيما وان الامة العربية كانت خارجة من هزيمة عسكرية وسياسية رهيبية أفقدتها توازنها لبعض الوقت ، ودفعت الشعب الى البحث عن ابطال يملأون الفراغ الذي خلفه الابطال المهزومون ، ويعوضون عن الهزيمة النفسية التي كان الشعب العربي يعاني منها ، فوجد في الشعراء الفلسطينيين الذين يقاومون الاحتلال الصهيوني بالكلمة ، تعويضا عن الهزيمة العسكرية .

وقد أحس محمود درويش ، وهو في الارض المحتلة ، بخطورة موقف هؤلاء النقاد فكتب مقالة بعنوان « انقذونا من هذا الحب القاسي » في مجلة « الجديد » التي تصدر في فلسطين المحتلة في حزيران عام ١٩٦٩ (١٧) . ولكن السنتين الماضيتين شهدتا موجة انحسار في الاهتمام بالشعر الذي يكتب في الوطن المحتل كما لاحظ ذلك محمود درويش نفسه (١٨) . ويبدو ان السبب فيه هو أن هذه الفترة شهدت ارتفاعا ملحوظا في العمليات العسكرية التي تقوم بها الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة ، مما ساعد الشعب العربي على استعادة ثقته بنفسه والاستعاضة بأبطال الفداء والاستشهاد عن « أبطال الكلمة » ، وأحسب ان الظروف السياسية التي ارتفعت بالشعر الفلسطيني هي الظروف نفسها التي أسقطت الكثير منه ، ولم يصمد في الحالة هذه غير الشعر الذي يتمتع بمستوى فني جيد ، تحله قيمته الفنية مكانا في سلم الشعر العربي المعاصر ، هو موضعه الحق .

من هنا لا يفقد شعر محمود درويش هويته خارج فلسطين المحتلة لانه ينتمي الى التيار الشعري العربي الكبير . ولا يفقد هذا الشعر صفته النضالية خارج الارض المحتلة لان قضيته تخبط المنطقة الجغرافية المحتلة ، واكتسبت بعدا عربيا قوميا بل وعالميا